



لا يختلف اثنان على النفوذ الأمريكي في العالم وخاصة في الدول العربية غرباً وشرقاً وخليجاً. والنفوذ فيه المصلحة الأمريكية فوق كل اعتبار بما في ذلك حقوق الإنسان والحرية.

ويبقى هاجس مراكز البحث ومنتجاتها إلى صناع القرارات السياسية إيجاد أتجاع السبل لاستمرار النفوذ والهيمنة. بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانجداب معسكر الشرق بما فيه روسيا إلى الفلك الأمريكي، بقي التابعون في المنطقة العربية بحاجة إلى تحديد مصير بعد فشل الأنظمة الموكلة بسياسة "قطعانها الشعبية" في حالة تبعية وتجويع وإذلال وكتم لأنفاس. "كونداليزا رايس" رأت ضرورة إحداث اصطدام مدوٍّ آليته "فوضى خلاقة" لتحديد أنماط جديدة تغير النهج السابق الذي لم يعد مجدياً في تحقيق الهيمنة والتبعية بالنسبة لعالم العم سام.

كانت انطلاقة ماسمي "الربيع العربي" من تونس ومصر ولibia واليمن ثم سوريا؛ وبدأ كل من تخلف بدور الشرطي المحلي القمعي لضبط إيقاع من ؤلّي عليهم من مواطنـي المنطقة العربية؛ يتلمس عنقه بأن مصيره النهاية، والإطاحة به محتمـة.

ُقضـي الأمر في المناطق الأربعـة بمنسوب مقبول من الدـم؛ ولكن المنطقة الأكثـر تعقـيـداً كانت سوريا؛ وحصـراً لقربـها من إـسرـائيل، التي لا تزال تحتـل جـزءاً من أـرضـ سوريا.

كان "بنغوريون" مؤسس إـسرـائيل، قد كتب يومـاً في مذـكـراتـه: "إنـ الخـطـرـ علىـ الكـيـانـ اليـهـودـيـ يـأـتـيـ منـ الشـمـالـ"؛ وكان قـصـدهـ منـ لـبـانـ وـسـوـرـيـةـ؛ فـتـكـفـلـ حـافـظـ الأـسـدـ منـ مـنـتـصـفـ السـتـيـنـيـاتـ منـ القـرـنـ المـاـضـيـ بـإـبعـادـ هـذـاـ الخـطـرـ عـبـرـ لـبـانـ بـتـكـلـيفـ أـمـرـيـكـيـ، وـعـبـرـ إـخـرـاسـ النـارـ وـالـأـرـوـاحـ السـوـرـيـةـ".

مـيـزـ الـحـالـةـ السـوـرـيـةـ فـيـ "الـرـبـيعـ العـرـبـيـ" شـعـارـ/ـأـحـكـمـهاـ أـوـ أـحـرـقـهاـ/ـ الـذـيـ تمـ تـنـفـيـذـهـ بـمـبـارـكـةـ أـمـرـيـكـيـ إـسـرـايـلـيـةـ؛ لـأـنـ زـوـالـ حـكـمـ الأـسـدـ يـشـكـلـ تـهـيـداـ مـباـشـراـ لـلـكـيـانـ؛ لـتـصـلـ الـأـمـورـ إـلـىـ اـسـتـخـدـامـهـ أـسـلـحـةـ الـمـحـرـمـةـ دـولـيـاـ، وـالـنـجـاـةـ بـفـعـلـتـهـ عـبـرـ مـكـفـ جـدـيدـ مـؤـهـلـ لـلـعـبـ دورـ حـامـيـ النـظـامـ "روـسـياـ".

وـكـنـتـ قدـ كـتـبـ إـثـرـ اـسـتـخـدـامـ بـوـتـينـ لـلـفـيـتوـ الـرـوـسـيـ فـيـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ. لـمـنـعـ مـعـاقـبـةـ جـرـيـمـةـ الـحـرـبـ تـلـكـ. أـنـهـ لـوـ لـمـ يـسـتـخـدـمـ الـرـوـسـ الـفـيـتوـ، لـكـانـ الـأـمـرـيـكـيـوـنـ قدـ وـجـدـوـ أـنـفـسـهـمـ مـضـطـرـيـنـ لـاـسـتـخـدـامـهـ، رـغـمـ كـلـ ذـلـكـ الـخـطـابـ الـذـيـ كـانـ فـيـ ظـاهـرـهـ مـعـارـ.

لم تتم مقابلة شعار النظام "احكمها أو أحرقها" أي "الكل أو لا شيء" بأقل منه من جانب من يعارض النظام الذين أجبروا أو تصرفوا على أساس إزالة النظام الذي حول نفسه إلى سورية وحول سورية إلى النظام، بحيث أصبح زوال سورية بالميزان.

تم إدخال حزب الله ثم إيران مباشرة؛ وتم تجنيد قتلة العالم من ميليشيات، وتم خلق داعش، وتشكيل تحالف دولي ليقاتلها. رغم كل ذلك وصل النظام إلى حالة تهالك بحيث بدأ عد أيامه المتبقية.

وهنا كان لابد من استخدام روسيا ثانية بعد فتيتو الحماية. أتى تدخلهم العسكري الاحتلال و أصبحت اليد العليا في سورية لروسيا ليُكشف مؤخراً عن اتفاق أريد له أن يكون سرياً، لكنَّ موسكو أعلنته لتبرير تمدد المائة يوم من التدخل للجسم الذي تحدث عنه بوتين.

كانت المائة يوم الممتدة على الأشهر الثلاثة الأخيرة من عام 2015 إلى 2016 العشرة الأول من 2016 مؤشراً فشل على التدخل الروسي؛ وكانت أمريكا تعرف ذلك. اتبع بوتن في حملته الجوية سياسة الأرض المحروقة في سورية مستهدفاً كل من يقف في وجه "الأسد"، ولم تكن حصة داعش أكثر من 10% من الحمم المسكوبة. ولم تتوفر القوة العسكرية الازمة التي تمسك بالأماكن التي يخليها من السوريين.

رغم تصوير إعلام موسكو لبوتن كبطل منقذ للعالم المتمدن من الإرهاب الإسلامي، إلا أن الكثيرين رأوا في تدخله لإنقاذ نظام منهالك كالنفح في قربة مثقوبة.

الشهرية الأمريكية ذي أتلنتك طرحت السؤال الأمر والأدبي: "ماذا لو خسر بوتن في سورية؟" يتضح أن ما يتحقق بوتين على الأرض قابل للتحول إلى عكسه، وبسرعة، وب مجرد تزويد من يقاوم النظام بالقليل من ذخيرة الأرض - جو؛ وهنا يأتي اندحاره المحتم.

في وضع كهذا يُخشى من ردة فعل بوتين الحمقاء، بحكم "مقت الخسارة" عند هكذا قادة موتورين. ففي فيتنام، ومع خسارة أمريكا في فترة من الفترات كان المزيد من حم النار والكوارث؛ وكانت زيادة غرق أمريكا في المستنقع الفيتنامي؛ وهذا أمر تعرفه أمريكا عن ظهر قلب. ولا يستبعد أن يتخذ بوتن القرار الكارثي نفسه. واضح أن ملامحه تتبدى على الأرض بالمزيد من زر أدوات القتل في الساحة السورية.

إن كان هدف بوتين، كما تروج التصريحات السياسية، أن ينجز عملية سلام بين النظام وخصومه؛ وإن هو استمر بالسعى لتحقيق نصر للنظام، فمن ذا الذي يتوقع أن يأتي النظام إلى عملية سلمية وهو منتصر؟!

ولكن نظراً لعدم تيقن بوتين من أن النصر أو الجسم مؤكد؛ وبما أن مفعول التوابيت - التي حتماً ستبدأ بالتدفق إلى موسكو ناسفة كل بطولاته الإعلامية - سيفوق تصوراته الرعناء؛ فلابد من وجود جهة ما توازن له بين نصر خلبي إعلامي يحفظ به ماء وجهه، وهزيمة نكراء تدفعه باتجاه المزيد من ارتكاب جرائم حرب.

والمرشح الأساس لهذه المهمة هو أمريكا العارفة بخطواته المتعثرة الفاشلة. وهنا عليها أن لا تدفع بوتن باتجاه المزيد من الغرق في الكارثة. الحل الوحيد هو أن توصل بوتن إلى قناعة بأن النصر المبين في سورية غير ممكن وعليه أن يحد من خسائره، وألا يذهب باتجاه الكارثة المحتمة.

وإنه إن أراد أن يحفظ ماء وجهه، بإمكانه أن يقلب النتائج على الأقل إعلامياً إلى نجاح.

عليه أن يقدم للجمهور الروسي رواية ليست بالضرورة صحيحة، ولكن معقولة .

وهنا، على أمريكا أن تتماشى مع ادعاءاته بتحقيق "نجاح" كي تخرجه من سوريا ببعض ماء الوجه، وعليها أن تتوقى التبجع بإظهار فشله وهزيمته؛ وهذا الانضباط مارسه جورج بوش الأب عندما حافظ على ميخائيل غوربتشوف إثر سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي عام 1989 .

"بوتني بحاجة إلى خطاب نصر وعلى أمريكا مساعدته في كتابته" هكذا يرى جهابذة السياسة.

هناك من يقول حتى ولو تكللت مغامرة بوتن بكسب سوريا كاملة، إلا أنه لن يكون قد كسب إلا قبلة موقوتة ستنفجر في وجهه عاجلاً أم آجلاً. ومن هنا فعلى بوتين أن يترك سوريا بخطاب صوري لا سوري؛ خطاب تكتبه له أمريكا.

كلنا شركاء

المصادر: